

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 5 - سورة الصافات - تفسير الآيات 83 - 98

27-11-1995

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، الآيات الثلاثة و الثمانون و التي بعدها من سورة الصافات و هي قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84)﴾

[سورة الصافات]

و الآية الثانية قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[سورة الشعراء]

معنى ذلك أن رأس مال الإنسان القلب السليم، إذ أن أمراض الجسد تنتهي عند الموت، أي مرض مهمما كان ينتهي عند الموت، إلا أن أمراض القلب تبدأ بعد الموت، و إلى أبد الأبد، فالذي في قلبه غل و الذي في قلبه حسد و الذي في قلبه كبر إنه إعرض مرض واحد و هو الإعراض عن الله عز وجل، فهذه الآية و هي قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84)﴾

[سورة الصافات]

وأتمن شيء تملكه هو القلب السليم، فإذا كان قلبك سليماً من الحقد و الحسد و من الكبر و من البغي و العدوان فأنت مع الله، و الله يوفّقك قال تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَنْفَكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86)﴾

[سورة الصافات]

أَيُعَقَّلُ أَنْ تُعْبَدَ غَيْرَ اللَّهِ؟ أَيُعَقَّلُ أَنْ يُعْبَدَ ثَمَانِمِائَةَ مَلْيُونَ الْبَقَرِ فِي الْهِنْدِ؟ أَيُعَقَّلُ أَنْ يُعْبَدَ بُوذا؟ أَوْ أَنْ تُعْبَدَ النَّارُ فِي جَنُوبِ الصِّينِ؟ أَيُعَقَّلُ أَنْ يُعْبَدَ ذَكَرُ الرَّجْلِ فِي الْيَابَانِ؟ وَ أَنْ تُعْبَدَ الْجِرْدَانُ فِي الْهِنْدِ؟ عِنْدِي مَجَلَّةٌ فَرَنْسِيَّةٌ فِيهَا تَحْقِيقٌ حَوْلَ عِبَادَةِ الْجِرْدَانِ وَ كَيْفَ يَطْعَمُونَهَا أَفْخَرِ الطَّعَامِ وَ بَنُوا لَهَا أَعْظَمَ الْمَعَابِدِ، أَيُعَقَّلُ أَنْ تُعْبَدَ الشَّهْوَةُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ (43)

[سورة الفرقان]

قد تعبد أباك و يأمرك بمعصية، و حرصاً على مصالحك معه و على نصيب ميراثك منه، تعبد من دون الله، و قد تعجب شهوتك، قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَنْفَكَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86)﴾

[سورة الصافات]

هذا الذي تعبد من دون الله هل ينحك؟ و لما جاء كتاب من يزيد بن معاوية إلى والي البصرة و كان عنده الحسن البصري و في الكتاب أمر لا يرضي الله عز وجل، فوقع والي البصرة في حيرة شديدة، أَيْنَقِدْ أَمْرَ يَزِيدَ فَيُغْضِبَ اللَّهَ تَعَالَى، أَمِنْ لَا يَنْقِذُ أَمْرَ يَزِيدَ إِرْضَاءً لِلَّهِ فَيُغْضِبُ يَزِيدُ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنْ اللَّهُ يَمْنَعُكَ مِنْ يَزِيدَ وَ لَكِنْ يَزِيدَ لَا يَمْنَعُكَ مِنَ اللَّهِ، هَذَا الْقَوْلُ دَسْتُورٌ لِكُلِّ النَّاسِ، فَإِذَا كُنْتَ مَعَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ مَعَكَ وَ مَنَعَكَ مِنْ أَعْدَانِكَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿أَنْفَكَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89)﴾

[سورة الصافات]

أي ضعيف، و معنى ضعيف أي مفتقر إلى الله، لو افترضنا إنساناً عنده آلة الخياطة يدوية، و قال لك: هذه أعظم آلة خياطة في العالم، و لو اطلع على آلة حديثة إلكترونية تعمل أربعين كنزة " جاكار " بأربعة ألوان في آنٍ واحدٍ، يرى نفسه صغيراً حقيراً أمامها، فيظهر الإنسان لما يرى الأعظم، فإذا ما فكّر الإنسان في العظيم يرى نفسه عظيماً قال تعالى

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89)﴾

[سورة الصافات]

متى قال " إني سقيم " حينما نظر نظرة في النجوم، لذلك الإنسان إذا عزل نفسه عن المحيط الخارجي يكبر و هو صغير، أما إذا فكر في خلق السماوات و الأرض يصغر فيصبح كبيراً، أما إن لم تفكر فأنت كبير و لكنك في الحقيقة صغير، قال تعالى:

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ
أَلَا تَأْكُلُونَ (91)﴾

[سورة الصافات]

هذه الأصنام التي تُعبد من دون الله لا تأكل ولا تشرب ولا تتحرك ولا تسمع، قال تعالى:

﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93)
فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96)﴾

[سورة الصافات]

هناك ناسٌ كثيرون عندهم رغبةٌ في تشويه النصوص، يقول مثلاً:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4)﴾

[سورة الماعون]

و الله تعالى قال: فويل...ساهون" ما قال فويل للمصلين، و سكت، قال تعالى: و الله..تعملون " يقول:أعمالنا خلقها الله وليست بأيدينا، ترتيبُ سيّدك كما يقولون، هذا النظرُ فيه افتراءٌ على الله، قال تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)﴾

[سورة الماعون]

قال تعالى:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28)﴾

(سورة الأعراف)

قال تعالى:

﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93)
فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)﴾

[سورة الصافات]

أرادوا أن يحرقوه و أضرمت نارٌ عظيمةٌ، و تصف لنا الكتبُ القديمةُ أن هذه النارَ عظيمةٌ و الله سمح لهم أن يوقدوها و كان من الممكن أن يطفأها الله تعالى، و سمح لهم ان يُلقوا القبضَ عليه و كان من الممكن أن يتفألت من قبضتهم، و سمح لهذه النارِ أن تشتعلَ و كان من الممكن أن تأتيَ أمطارٌ غزيرةٌ تطفئها، و الله عز وجل أَحْرَ آيَاتِهِ لِأَخِرِ مَرِحَلَةٍ، و بعد أن أُلْقِيَ فِي النَّارِ، قال تعالى:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (69)

[سورة الأنبياء]

لو قال بردًا لَمَات من البرد، و لو قال بردا و سلاما و لم يقل على إبراهيم لأُلْعِيَ فعلُ النارِ إلى حدِّ الآن، فهذا الذي يقول للنار:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (69)

[سورة الأنبياء]

هذا الذي ينبغي أن تعبد، وهذا الذي يغيّر خصائص الأشياء، النارُ تحرقُ، و هي خاصيةٌ أساسيةٌ في النار، الذي يغيّر خصائص النار هو الذي ينبغي أن تعبد، يا إبراهيم ألك من الله حاجةٌ ؟ قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي، ينبغي أن تعبد من يعلم دون أن تقول.

أيها الإخوة ؛ قصصُ القرآن الكريم ليست مقصودةً لذاتها، و المقصودُ أن تعتبر، و أن الله في كلِّ دقيقةٍ و ثانيةٍ و في كلِّ عصرٍ و مصرٍ قادرٌ على أن يُلْعِيَ خصائص الأشياء، ورمٌ خبيثٌ توقّف و تراجع بلا دواءٍ و لا معالجةٍ، هذا الذي يقدر أن يوقف مرضا خبيثا ينبغي أن تعبد، الإنسانُ ضعيفٌ وقواه الله، و الإنسانُ فقيرٌ و أغناه الله، و الإنسانُ شقيٌّ و أسعده الله، و الإنسانُ بعيدٌ و قرّبه الله، فالذي يُسعد و يقرب و يغني و يقوي و يشفي و يحفظ، هو الذي ينبغي أن تعبد، قال تعالى

﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدُمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي (79) وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾

[سورة الشعراء]

قال تعالى:

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (98)

[سورة الصافات]

إذا كان الله معك فمن عليك ؟ و إذا كان عليك فمن معك ؟ إذا وجدت الله فماذا فقدت و إذا فقدت الله فماذا وجدت، قال تعالى:

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)﴾

[سورة الصافات]

أضعف دولة في العالم من حيث السكان ؛ ثمانمائة ألف ؛ لو أن أمريكا معها لأصبحت أقوى دولة في العالم، أليس كذلك، مثل مُنْتَزَع من الأخبار، أنت الآن أضعف مخلوق إذا كان الله معك فأنت أقوى مخلوق وأقرب إنسان إذا كان الله معه فهو أغنى إنسان، و أجهل إنسان إذا كان الله معه فهو أعلم إنسان، والنبي الكريم علم البشرية إلى يوم الدين قال تعالى:

﴿أَفِرًّا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)﴾

[سورة العلق]

والنبي عليه الصلاة والسلام لا يقرأ ولا يكتب، فلأن الله تعالى علمه أصبحت أحاديثه منتشرة في بقاع الملك، فإذا الواحد دخل إلى بيت من بيوت الله ليطلب العلم، فليقل إني ذاهب إلى ربي، وإذا غض بصره بالطريق فهذا ذاهب إلى ربه، وإذا ذكر الله تعالى فهذا سيذهب إلى ربه إذا ذهب ليزور صديقاً، فهذا ذاهب إلى ربه، وإذا ذهب إلى الحج فهذا ذاهب إلى ربه وإذا عُدت مريضاً كنت في طاعة الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَاتِّبِينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ،... "والله تعالى قال:

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)﴾

[سورة الذاريات]

ارْكُضْ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَبِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَبِذَلِّ الْمَالِ وَالنَّفْسِ إِلَيْهِ. وَإِنَّ بِيوتِي فِي الْأَرْضِ الْمَسَاجِدَ، وَإِنَّ زُورَاهَا هُمْ عَمَارُهَا، فَطُوبَى لِعَبْدٍ تَطَيَّبَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي، وَحُقَّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرَمَ الزَّائِرُ.